عبوات مياه ملوثة في الأسواق.. من يحمي المجتمع؟

في ظل الأزمة التي يعاني منها اليمن من شح في المياه جاءت محطات المياه (الكوثر) لتغطي بعض احتياجات المواطنين إلا أن هذه الخدمة ظاهرها الرحمة وباطنها الخراب فعملية استبدال العبوات وعدم تنظيفها من قبل أصحاب المحطات يسبب الكثير من الأمراض وتصبح دبات الكوثر وعاء لنقل الفيروسات والأمراض على اختلاف أنواعها.. ورغم التحذيرات من الباحثين والمهتمين من كارثة صحية إلا أن الجهات الرسمية لا حس فيها ولا خبر. (دبات الكوثر) عنوان لكارثة صحية قادمة إن لم يتنبه لها المواطن والدولة.. والتحقيق التالي يوضح تفاصيلها:

تحقيق/هشام المحيا

«دبات الكوثر» المستبدلة .. أوبئة متنقلة.. ورقابة غائبة

تمر (دبات الكوثر) بالعديد من المراحل حتى يتم إشباعها بالجراثيم والفيروسات فهي تخرج من المحطة إلى المستهلك وتوزع المياه التي تدعى »صالحة للشرب« إلى المحلات والبيوت على سيارات مكشوفة بطريقة مخالفة لاشتراطات النقل حيث تتعرض عبواتها البلاستيكية لحرارة الشمس مما يؤدي إلى تغير طعم ورائحة الماء.

كما أنها تتعرض للأتربة أثناء تنقلها من منطقة إلى أخرى فتكتسب اللون الأصفر ويعاد تعبئتها أكثر من مرة لتصل المياه في النهاية إلى المستهلك مسببة له المرض، أما المرحلة الثانية فيستخدمها المواطن بطريقة غير صحيحة مثل الشرب من رأس العبوة وهو ما يسبب نقل بعض الأمراض والفيروسات وتبقى مفتوحة سواء في المحلات أو المنازل والمحطات والناقلات مما يعرضها لجميع أنواع الملوثات المرئية وغيرها وعوادم السيارات والروائح المنبعثة من أجواء الطرق ومخلفات العواصف الرملية، وتصل أخيراً إلى المحطة لتضفي إليها النكهة إما بقليل من البترول أو الصابون أو غير ذلك، ويتم تجاهل الرمل والإخضرار داخل الأوعية ربما لا عتبارها علامة للجودة عندهم، فيما هي دليل (تعفن)

غياب الاهتمام

عندما تغيب الأمانة ويعمل الناس لأجل المال دون الاهتمام بالمستهلك، هنا فقط تحل الكارثة.. إذ يمكن أن يصاب المواطن اليمني بالعديد من الأمراض دون أن يعلم سبب الإصابة، فغياب الضمير الحي عند بعض أصحاب المحطات وضعف الرقابة من قبل الجهات ذات العلاقة وعدم وعي المواطن بحجم الكارثة كل هذا يجعل من »دبات الكوثر المستبدلة« حامل الألم لا الأمل.

المواطن عبدالله أحمد يشكو من غياب الرقابة على المحطات فهي لا تقوم بتنظيف العبوات العائدة إليها ويؤكد أن الماء وصل إليه أكثر من مرة بألوان وروائح مختلفة فمرة برائحة البترول وأخرى بالصابون ويضيف لست الوحيد الذي يشكو فأغلب الحارة يعانون من نفس المشكلة وتم نقاشها أكثر من مرة في جلسات المقيل ويقترح حلاً بأن تلغى قاعدة الاستبدال فهو الحل الوحيد والمناسب حد وصفه.

الشاب أمين الجنيد يؤكد الكلام السابق ويؤكد أنه يواجه نفس المشاكل التي يعاني منها المستهلك الآخر ويرى بأن انعدام المسؤولية عند عمال المحطات هو السبب.

الحاجة هندية وجدتها بالصدفة في أحد المحلات طلبت ماء كوثر فئة 5 لتر ولأن العطش قد أنهكها استعجلت بشرب الماء فتفاجأت بها وهي تمجه بسرعة وتدعو على كل من في المحل رغم أنه لا ذنب لنا كزوار للمكان الذي أغضبها هو طعم كريه للغاية لم تستطع وصفه حسب قولها.

عبدالله الأديب حاول أن يجد مصدر دخل فما كان أمامه إلا أن يشتري عددا من دبات الكوثر ويقوم بتوزيعها في البيوت إلا أن فكرته لم تنجح فأصحاب المنازل يرجعونها في اليوم التالي لبيعها نظرا لوجود روائح غير طبيعية كما يقولون ويضيف كنت أراقب عمال المحطات ولاحظت أنهم لا يقومون بتنظيف الدبات المستبدلة قبل إعادة تعبئتها.

الرأي الآخر

> أما محمد أحمد صاحب محطة تعبئة مياه فيرى بأنه ملتزم بمعايير السلامة ويقوم بعملية التنظيف على أكمل وجه ويقول أنه يشرف يوميا على عماله حد وصفه ويرى بأن شكاوى المواطنين مجرد مزايدات لا داعي لها وإذا حصل شيء من هذا فهو خطأ نادر جدا وعن كيفية التنظيف يقول يتم غسل العبوات المستبدلة بالماء والصابون والكلور وغيرها من المنظفات يذكر أن هذه المحطة لم تعد محل ثقة عند الناس وأصبحت موضع تندرهم!!

كذلك صاحب إحدى المحطات يقول أن وزارة الصحة تقوم بزيارات مفاجئة لمعرفة مدى الالتزام بمعايير السلامة الصحية والجودة والغريب في الأمر أنني أثناء حديثه لاحظت داخل محطته في مكان التنظيف كومة من الزبالة اقتربت قليلا لأرى ماء وقد تحول لونه إلى الأسود ممزوجاً بقليل من الصابون والعامل يقوم بغسل دبات الكوثر فيه ويذهب بها لتعبئتها وختمها، لم تكن هذه المحطة الوحيدة التي استبدلت شعار الجودة بـ»المرض أولا« ففي زيارة لي إلى إحدى المحطات ومن أول وهلة لدخولي رأيت دبات ماء الكوثر قد تغير لونها من الأبيض إلى الأصفر رغم ذلك يقول مالك المحطة أنه لا يستبدل العبوات بل يشتريها من المصنع ويبيعها مباشرة هنا فقط جاء تفسير واحد لما رأيت وهو أن المصنع ربما غير لون العبوات من الأبيض إلى الأصفر!!

مئات المحطات في العاصمة.. معظمها خارج معايير السلامة الصحية

حماية المستهلك

جمعية حماية المستهلك راقبت محطات تعبئة المياه عن كثب وكشفت أشياء مخيفة وجدت في العبوات بقايا سجائر وروائح كريهة كالبترول وغير ذلك من "البلاوي" كما جاء على لسان أمينها العام وقد حاولت الجمعية بشتى الوسائل والطرق معالجة المشكلة ووجهت رسائل إلى الهيئة العامة للمواصفات والمقاييس وأخرى إلى إدارة البيئة في وزارة الأشغال وكلها نداءات عاجلة لحماية المستهلك وفرض رقابة على محطات المياه إلا أن المتكلم فصيح والمستمع "أصنج"!!

المهندس صالح غيلان أمين عام جمعية حماية المستهلك يرى بأن تغلق أغلب هذه المحطات نظرا لرداءة التحليل وعدم النظافة فيها وأوضح أن الجمعية قامت بعدد من الإجراءات كان أهمها عمل بروشورات وإعلانات ومحاضرات في المدارس لاستعراض حجم المشكلة كما طالبت الجمعية الجهات ذات العلاقة بمنع تداول العبوات أكثر من مرتين ومنع العبوات غير الصالحة للشرب كما طالبت باستخدام التعقيم ولكن "لا حياة لمن تنادي".

من الناحية الطبية طرحنا الأمر على الدكتور عدنان البعداني استشاري المسالك البولية والذي حذر بدوره المواطنين من استخدام مياه غير صحية نظرا للأضرار التي ستلحق بهم فالماء نعمة وشربه صحة والماء غير النظيف يأتي بنتائج عكسية.

الرقابة

القانون الصادر في العام2001م اختزل العديد من الشروط على محطات "الكوثر" إلا أن الواقع ليس له صلة بالقانون فالجهات الرقابية دائما مترفعة لا تتواضع فلا تعرف القانون ولا الواقع فالرقابة مثلا على محطات التعبئة لا إلى عملها إلا مرة في العام ويفترض أن تقوم بأكثر من مائة زيارة على الأقل فما عملها غير ذلك.

أساليب نظافة متخلفة.. تعبئة بلا تعقيم.. وتكرار الاستخدام يفاقم الخطر

محمد صالح عامل في إحدى المحطات يقول "الزيارات التي تأتي لمراقبة العمل نادرة جدا وإذا وجدت شيئا مخالفا تأخذ المصاريف وتذهب"!!

في العام2009 م بلغ عدد محطات تعبئة المياه في العاصمة صنعاء 113 أغلبها لا تعرف معنى النظافة حسب الإحصائيات.. إضافة إلى أن بعض المحطات لا تمتلك أجهزة معالجة للمياه وبعضها موجود ولكن من غير صيانة والأدهى من ذلك أن الذين يعملون على أجهزة المعالجة لا يعرفون المقاييس الأمر الذي ينعكس على صحة المواطن.

أبحاث في الأدراج

وسيم الجراح من أوائل الذين اكتشفوا الكارثة كان يعمل في محطة مملوكة لوالده ولأن ضميره ما زال حيا لم يعجبه ما يسمى بقاعدة الاستبدال فقد راقب وسيم الوضع عن كثب وفكر أن يبحث في المشكلة لمعرفتها من جذورها فاكتشف كارثة صحية سببها دبات الكوثر المستبدلة وبعد جهد جبار توصل لنتيجة إلى الآن لم يشكر عليها من الجهات ذات العلاقة.. إذ قام الباحث برصد الحالات وتتبعها فوجد ما يشيب له الرأس أهمها وجود حشرات في العبوات مثل الذباب والصراصير وكذا رمل أو خضرة وبقايا سجائر وغير ذلك، كما لاحظ الباحث أن البعض يشرب مباشرة من العبوة الأمر الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض والفيروسات مثل فيروس الكبدA ، وحمى التيفوئيد والكوليرا وغيرها من الأمراض المنتقلة كل هذا ولد عند وسيم الهمة العالية لمعرفة الأضرار الصحية وطرق معالجتها لاسيما وان الأمراض من النوع الفتاك والتي تودي بحياة الكثيرين دون علمهم السبب، لم يكن أمام وسيم إلا أن يبحث عن وسائل للحد من أضرار هذه الكارثة فرأى أن تلغى قاعدة الاستبدال أسوة ببقية دول العالم خصوصا في العبوتين 5 و 10لتر نظرا لصعوبة المراقبة على محطات التعبئة بالذات في هذا الجانب.

خلاصة

من كل ما سبق يتضح ان المواطن هو المغلوب على أمره في ظل أمانة ضاعت من رقاب بعض أصحاب المحطات، والرقابة أصبحت في غياهب الجب و(دبات الكوثر المستبدلة) لسان حالها يقول: لن تمنعني من الخروج لأننا في زمن الحرية ولكني أوجه نصيحة إلى المواطن فالمشكلة تبدأ منك وتعود إليك فبإمكانك نبذها أو الاستمرار ولا ننسى ان نوجه كلمة شكر إلى المحطات التي يهمها بالدرجة الأولى المستهلك.

نحن لا نقصد قطع أرزاق الناس.. لكن من حق المجتمع أن يحظى برقابة صارمة تحميه من العبث بالأرواح خاصة أن أعداد مستهلكي هذه المياه في تزايد مخيف وغياب شروط السلامة الصحية ينذر بكارثة سكانية يصعب تداركها.